

كان من نتائج سرعة تطور فن التصوير الحديث ، ونشوء مدارس فنية مختلفة وانقراضها في فترة ضيقة من الزمان، وهي فترة ما كادت تتبلور فيها القيم المبشرها، حتى تحجرت واخذت

بين التجريد والسريالية

بقلم علي الشعلان

تعد السنوات الواقعة بين ١٩٠٧-١٩١٢ مهمة وخطيرة جداً في تاريخ الفن الحديث حيث اخذت فكرة الفن التجريدي التي غرست بذورها الاولى في العقد الاخير من القرن المنصرم

تتنظم وتتبلور في اتجاهات عدة . التجريد في اللغة معناه التعرية وازالة الزوائد والتزيينات الاضروورية وهو بالنسبة للفن يعني الانطلاق للامحدود والتخلص من القيود الطبيعية مكانية كانت او زمانية^٢ والتجريد ليس من المبتدعات الحديثة ولكنه مظهر العصر ومدلول ثورته على القيم التقليدية والكلاسيكية (المدرسية) .

لو تأملنا في حقيقة التجريد ودرسناه من الناحية التاريخية لوجدنا ان جذوره تمتد من ناحية الفكرة (Idea) حتى عصر رامبراندت Rembrandt بل حتى عصر النهضة Renaissance . فالتجريد يشمل مفهومين : التجريد في الفكرة والتجريد في الاسلوب وقد يشمل المفهومين معاً وذلك مظهره المتبلور في العصر الحاضر .

قلت ان التجريد ليس من مبتدعات العصر ولكنه مظهر العصر ، وهذا صحيح لان كبار الفنانين الكلاسيكيين قد عمدوا الى التجريد^٣ في اواخر حياتهم الفنية فلو اخذنا فكرة لرامبراندت رسمها في دورين من ادوار حياته الفنية ولتكن (عودة الابن الضال) لوجدنا ان اللوحة التي رسمها في آخر حياته تختلف تماماً عن التي رسمها في مستهل حياته . فاللوحة الاخيرة لا تمثل غير خروج الاهل وذوي القربى والخيرة الذين يطولون من السطوح لاستقبال ابنهم الضال العائد، وهم في جذل واستبشار . اما التي رسمها في آخر حياته الفنية فهي اكثر جزالة في الغرض وأشد تعمقاً في الفكرة . لان الموضوع (عودة الابن الضال) في حقيقته يخص شخصين اثنين : الاب والابن . فالاب وهو شيخ وخطه الشيب بشخص في وضع دراماتيكي حزين وقد تجلت معالم العفو والمغفرة في عينيه الباكيتين وسفتيه المتهدلتين العائبتين، وقد بدا وهو واضع يده المغضنة على كتف ابنه . والابن الضال جاثم امامه على ركبتيه في خضوع وتذلل وندم . ان هذه الصورة قد تجردت من

طريقها نحو الانقراض ، ان اخذ بعض الناس يخاطون بين هذه المدارس المختلفة دونما دراية او علم ، وراحوا يتعمنون كل صورة لا يفهمونها بانها رمزية او سريالية . ومرد هذا الخلط كله راجع الى تقدم الفنان على عصره وتجرع القيم التي يتخذها الجمهور اساساً لمقاييسه وهي مقاييس خلفتها عقلية قديمة لا يواكبها عمل عقلية اليوم المتجددة الطموحة . هذا سبب عام واما بالنسبة للشرق العربي فيرجع عدم التفاهم بين الفنان والجمهور الى انعدام الاروقة الدائمة Gallarys التي تضم لوحات فنية تمثل مدارس مختلفة ، ثم قلة المعارض الفردية والجماعية ثم انعدام الصحف والمجلات التي تعنى بشؤون الفن وخصوصاً الفن التشكيلي Plastique كالرسم والنحت و (العمارة) وهي التي تعمل على تقريب وجهات النظر المختلفة . ان وجود هذه الاسباب مجتمعة وظهور تجار النقد الذين يلوكون الكلمات والمصطلحات الفنية المختلفة دونما فهم او تحقيق هي التي سببت تشويه الحقائق فنتج من ذلك الخلط بين القيم المختلفة وبالتالي انعدم التفاهم بين الفنان والجمهور !!



غوغان - بريشة سكانكر

Modern french Painters : R.H Wilenski; p 200 (٣)

The meaning of art : Herbert Read; p 146 (٢)

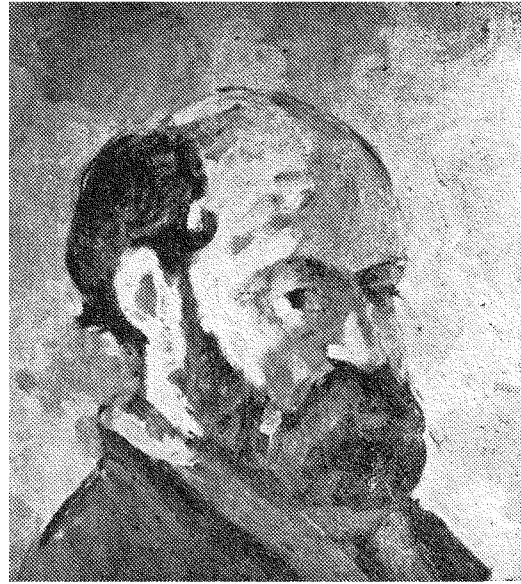
Hilde Zaloscer مجلة الكاتب المصري : الاثر الاخير لرمعاه الفن (٣)

الحواشي والزوائد واقتصرت على الاب وابنه الضال فهي من ناحية فكرتها صورة تجريدية .

اما التجريدية في مفهومها الحديث فهي الانطلاق للا محدود في الفكرة والاسلوب والموضوع . وقد اثر في التجريدية الحديثة عاملان مهمان : الاول هو تعليم بول سيزان^١ (Paul Cezanne) والعامل الثاني بعث الزخرفة العربية^٢ . قلت ان التجريدية في مفهومها الحديث خلاصة القيم (Value) التي نادى بها بول سيزان الذي تبني تعاليم مانيه (Manet) في التسطيح^٣ والذي استهدف الهدم والبناء معالجاً بذلك فكرة الفراغ^٤ . والمتأمل

لصوره يرى قسوة الحد الذي تتركه ضربة فرشاته على سطح قماش التصوير . ويقول الناقد (هيربرت ريد)^٥ في هذا المجال : ان الأشكال لدى سيزان تبدو وكأنها منشأة من الكارتون (المقوى) والملاحظ ان صور سيزان تسبغ في جو تجريدي مطلق في عالم لا تضيئه الشمس ولا زمن فيه^٦ .

هدم سيزان المنظور (Perspective) وضرب صفحاً عن القيم الكلاسيكية كالترام الشبه ، وجرد الأشخاص من دماهم وحسيتهم وعرضهم صخوراً تشخص في جو



بول سيزان - بريشته

سرمدي مطلق ! كما انه نحلل من القيود الموضوعية وبني الموضوع بشكل ارتآه صحيحاً . كأن يأخذ عموداً او شجرة او كوخاً من مساح النظر التي امامه ويضعها على سطح القماش التصويري بشكل يراه اكثر تناسباً بما هو في الواقع . وكان منطقته في هذا : الخلق والابداع ، لا التقليد ونقل الواقع الموضوعي . فنتج من ذلك التشويه المنظم الذي يعتبر احد الأسس التي قامت عليها التجريدية الحديثة Abstract .

اما تأثير الزخرفة العربية (Rhythmic Arabesque) وفنون الشرق الأقصى Far eastern art فقد ادت الى خلق جماعة الزخرفة الايقاعية (Rhythmic Decoration)^١ التي استهدفت إيجاد هندسة تصويرية تستقي أساسها من الخط الزخرفي المنساب والمساحات اللونية الكبيرة وكانت تسيطر على هذه الحركة نفس الفكرة الفنية (Aesthetic) التي سيطرت على فنون الشرق البعيد . وكان اول اقطاب هذه الحركة هو بول غوغان (Paul Gauguin) (١٨٨٨ - ١٨٩٠) واما رائدها الأول في العصر الحاضر فهو ماتيس (Matisse) الذي تمكن من تمثيل الأبعاد الثلاثة بشكل زخرفي على سطح ذي بعدين .

في الوقت الذي كانت فيه تعاليم « بول سيزان » تأخذ طريقها الى التبلور والنضج كانت نظريات (فرويد - Freud) الطبيب النمساوي التي شاعت في العلوم النفسية عن اللاوعي والعقل الباطن قد أثرت تأثيراً واضحاً في الفنون المختلفة . ولم يقتصر هذا التأثير الذي يعد طابع العصر - الطابع السايكولوجي - على الأدب والشعر بل تعداهما الى الفنون التشكيلية (Plastique) كالرسم والنحت .

وهذه المنطقة التي اصطلح علماء البحوث النفسية على تسميتها بالاشعور ، والتي تبرز بين الحلم واليقظة وتطفو على شكل تيارات مبهمه غير منتظمة - لأنها ليست خاضعة للإرادة الواعية - عمد اليها بعض الفنانين الحاذقين الذين تبذوا هذه

Modern french Painters : R. H. wilenski. p 200 - 201 (١)

(١) بول سيزان (١٨٣٩ - ١٩٠٦) رسام فرنسي نشأ في بداية حياته انطباعي النزعة Impressionism ثم ما لبث ان تحرر بسليقته الى اللاحقة للانطباعية Post impressionism ومنه تفرعت التجريدية والتكيبية Cubism ويعد الناقد ابا الفن الحديث .

(٢) Modern french painters ; R. H. Wilenski p. 200 Rhythmic Arabesque

(٣) حتى عهد مانيه Manet كانت المعركة تختم حول أفضلية الخط او اللون ولما جاء مانيه أعطى الأهمية للسطح التصويري .

(٤) من هنا نشأت التكيبية التي استهدفت معالجة الفراغ بانخاذ مساقط نظر من جهات مختلفة على اساس ان العين المجردة لا يمكنها إدراك الموضوع إلا في مدى الرؤية المحدودة .

The meaning of art : H. Read P. 146 (٥)

(٦) الأزمة الراهنة للفن : مجلة الكاتب المصري ص ٢٥٢

Hilde Zaloscer

التعاليم وعملوا على تقصي خفايا النفس الانسانية وتعمقوا في البحث عن الأفاسي السحيقة فيها .

والصور السريالية (Surrealism) تسمح في جو اسطوري من غرابة الألوان والتواءات الخطوط وقد استهدف الفنان السريالي التعبير عن الوحشة الرهيبة المتغلغلة في كيان الانسان الضائع !!

والسريالية في جذورها الأولى ترجع الى سنة ١٨٨٠ حينما ناهض^١ كوستاف مورو Gustave Moreau واوديلون ريدون Odilon Redon نظريات الواقعيين من الرسامين ولم يتأثروا بتعاليم الانطباعيين بل اخلصوا لعواطفهم واستهدفوا التعبير عن مشاعرهم وإحساساتهم فاقتربوا بذلك من وليم بليك (William Blake)^٢ الرسام الانكليزي الرومانتيكي المتصوف! السريالية نزعة فردية . وكثيراً ما يشاهد تحقق الأجواء السريالية في بعض صور الرسامين الفرديين كالرسام روستو The Douanier Rousseau في صورته (la bohémienne) (endormie) وفي بعض صور بول كلي (Paul Klee) .

ومن الملاحظ أن المواضيع السريالية شحيحة نادرة بالنسبة للاطراف الاخرى في الفن وذلك لان مادة الفن السريالي تقتصر على ينايبع نفوس السرياليين التي هي المصدر الوحيد للهامهم الفني ، فهم استهدفوا الكشف عن (الحقيقة الداخلية) في الانسان .

والسريالية نزعة فردية لانها تقترب من التعبيرية Expressionism والارفضية Orphism من ناحية التعبير المباشر عن العواطف المتدقة والتي تكشف عن رغبات ومخاوف غامضة^١ ويقول هيلديه زالوش Hilde Zaloscer في هذا المجال (بانها وثيقة اعتراف اكثر مما هي عمل فني) .

ومن الملاحظ ان الصور السريالية تكشف عن عواطف رساميهما الذين غالباً ما تطفى عليهم عاطفة دينية صوفية ومن

(١) Modern french Painters ; R. H wilenski p : 11

(٢) نفس المصدر السابق ص ١١ ، ٢٣ ، ٣١٣

Redon. Ensor. chirico. chgal.

١ - مجلة الكاتب المصري : الازمة الراهنة للفن . ص ٢٦٣

اشهر اقطابها : شاجال الرسام اليهودي وسلفادور دالي الرسام الكاثوليكي وشريكو الايطالي الذي ثار على هذه النزعة واعلن انفصاله عنها فيما بعد وتكرر لصوره القديمة (السريالية) ببيان اصدره في باريس .

هذا العرض الموجز لتطور فن التصوير خلال العقد الاخير من القرن المنصرم والنصف الاول من القرن الحاضر نخرج بان التجريدية والسريالية - يسيران في طريقين مختلفين حيث ان الاولى هي تطور عضوي للفن الطبيعي والنزعة الانطباعية والثانية هي حالة عارضة صبغت الفن بصبغة العصر السايكولوجية فوجهت الانتاج الفني تحت تأثير مستلهماتهما. الاولى تستلهم العواطف تحت رقابة العقل ، فهي نزعة عقلية تجنح نحو المادة ، والثانية تخضع مفاهيمها لتأثير العواطف فهي صوفية تستلهم الروحيات وتفصح عن رغبات دينية . الاولى - وهذا مهم - تتم بالرسم كرسوم في حد ذاته - اي كفن مستقل - بينما الثانية تخضعه للفكرة ، حيث تجعله من حيث المرتبة يأتي في المرحلة التالية للفكرة واخيراً ان الاولى تستهدف الخلق والابداع بينما الثانية تنفيس عن رغبات مكبوتة .

علي الشعلان بغداد

المعهد العالي

داخلي - وخارجي

روضة اطفال - ابتدائي - ثانوي

برج ابي حيدر - بجانب المسجد - بيروت - لبنان

- يقبل الطلاب من لبنان ومختلف الاقطار العربية
- يطبق برامج الجامعة الاميركية في بيروت
- اساتذة اخصائيون ، مربيات لروضة الاطفال
- بدأ التدريس في اول تشرين الاول الماضي

الخابرة : ص . ب . ١٠٨٥

ترسل البيانات لمن يطلبها مجاناً